**أثر الاعتزال عند ابن جني على توجيه القراءات الشاذة**

مبحث فى علم القراءات الشاذه

إعداد / أحمد محمد سمير

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

**Ahmedmsamir54@gmail.com**

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى أثر الاعتزال عند ابن جني على توجيه القراءات الشاذة**

**الكلمات المفتاحية – معتزليا، الفارسى، تمثل**

* **.المقدمة**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة أثر الاعتزال عند ابن جني على توجيه القراءات الشاذة**

* **.عنوان المقال**

**لا زلنا مع ابن جني، وها نحن أولاء في هذا الدرس نبين أثر الاعتزال عند ابن جني.**

**من المعلوم أو من المعروف أن ابن جني كان معتزليًّا كأستاذه الفارسي.**

**وقد أطل هذا الفكر في بعض توجيهاته للقراءات الشاذة؛ مما يدل على تمثل أبي الفتح لثقافات عصره، وتياره الفكري الجارف الذي يعمل على تحكيم العقل والمنطق في كل ما يعرضه له من ظواهر.**

**نذكر من ذلك موقفه من قراءة إبراهيم بن أبي عبلة "وكلم اللهَ موسى" فقد ذهب أبو الفتح إلى أن هذه القراءة على الحقيقة، وأن موسى قد كلم الله فعلًا بدلالة نظره إليه في قوله تعالى: {ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ} [الأعراف: 143] وهي فكرة من أفكار المعتزلة التي تناهض أهل السنة الذين يذهبون في ذلك كله إلى المجاز.**

**ولنقف مع العلاقة بين النحو والمعنى: كان توجيهات ابن جني للشواهد تنبض بالشروح، وتستظل بالمعاني، فقد ألح على عقد أواصر متينة بين النحو والمعنى في كل ما يعرض له من آراء وتوجيهات، وذلك من خلال إنعامه النظر في الفروق الدقيقة التي تميز القراءة الشاذة من القراءة المشهورة أو التي تميز القراءة القرآنية عمومًا من الأساليب الأخرى حتى بدا يريد أن يثبت أن النحو معني قبل كل شيء.**

**ومن أقواله في بعض المواضع: "فهذا أمر الإعراب فيه تابع لمعناه، ومحدد على الغرض المراد فيه".**

**ولعلنا لا نزيد في هذا على ما قيل في أبي الفتح، ولكننا نريد أن نؤكد أن الخلاف بين القراءات عنده لم يكن إلا خلافًا بين المعاني الدقيقة التي يدركها أمثاله.**

**ولعل مثالًا واحدًا يكفي للوقوف على هذه الظاهرة، وهو موقفه من قراءة الأعرج {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ \* ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ} [التوبة: 14، 15] قال: إذا نصب فالتوبة داخلة في جواب الشرط، وإذا رفع كقراءة الجماعة فهو استئناف، والوجه قراءة الجماعة على الاستئناف؛ لأنه تم الكلام على قوله تعالى: {ﭝ ﭞ ﭟ} ثم استأنف فقال: {ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ} فالتوبة منه  على من يشاء ليست مسببة عن قتالهم، هذا هو الظاهر، وأن هذه حال موجودة من الله -تعالى- قاتلوهم أو لم يقاتلوهم، فلا وجه لتعليقها بقتالهم، فإن ذهبت تعلق هذه التوبة بقتالهم إياهم؛ كان فيه ضرب من التعسف بالمعنى.**

**أيضًا نتكلم عن الإيجاز والاستطراد عند ابن جني.**

**كان ابن جني يستهل توجيهه عادة بتقرير الوجه النحوي تقريرًا عامًّا ثم يشرع بتحليله وشرحه، وهو غالبًا ما يقدم لذلك بحديث شامل عن القراءة المشهورة؛ لاعتقاده بأن في هذا التقديم ما يخدم الغرض، ويساعد على الوصول إلى وجه القراءة الشاذة.**

**نذكر من ذلك تقديمه لقراءة علي بن أبي طالب >: {ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ} [إبراهيم: 37] قال أما قراءة الجماعة {ﮖ ﮗ} بكسر الواو "تهوِي" فتميل إليهم أي: تحبهم، فهذا في المعنى كقولهم: فلان ينحط في هواك؛ أي يخلد إليه.**

**وقد يبدأ توجيهه بحديث صرفي أو لغوي، وبعد أن يفعل ذلك يشرح الوجه، ويبين معناه أو يمثل له أو يحتج له بالقرآن أو الشعر أو أقوال العرب، وهو يولي القرآن الكريم عناية خاصة، ويعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا، ويقدمه على الشعر أو غيره، ولكنه قد يحتج به أولًا ثم يثني بالشعر ثم يعود إليه مستوثقًا مرة أخرى، وقد يبدأ احتجاجه بالشعر، ثم يعطف عليه آية قرآنية ثم قولًا من أقوال العرب، ثم يعود إلى الشعر، ولكن هذا نادر جدًّا.**

**وقد يلجأ إلى القياس، فيقيس وجه القراءة على أسلوب آخر ثم ما يلبث أن يبتعد قليلًا أو كثيرًا إلى أقيسة أخرى تجري رحاها بين الشواهد، أو يمكث بعيدًا فيشرح معانيها ويجري بينها بعض المقارنات؛ لتوضيح الفروق.**

**وهو يكثر من الشواهد أحيانًا، ولا سيما إذا آنس حاجة إلى مزيد من الإقناع، ولكن السمة الغالبة عليه حب الإيجاز والاختصار، ولا سيما إذا كان الوجه مطردًا، وقد أكثر من القول في وجوه القراءات وأمثلتها، وهو كثير، وهو كثير جدًّا، وما أكثر هذا! وهذا أكثر من أن يحصى، وما أكثر هذا في القرآن وفصيح الكلام! والأثر فيه أوسع، وهو فاش، ولهذا نظائر كثيرة.**

**كما أنه أكثر من الإحاطة على كتبه الأخرى مذكرًا أن هذا الجانب قد أولى فضل قول وعناية هناك، ففي حديثه عن التضمين في توجيه إحدى الشواذ، عقب على ذلك بقوله: "وقد أفردنا لهذا ونحوه في (الخصائص) بابًا" وفي حديثه عن القراءات الأخرى أحال على كتابه (المنصف) وعلى (سر الصناعة)، وعلى كتابه (التنبيه في تفسير مشكل أبيات الحماسة) وعلى كتب أخرى لم يسمها، وقد فعل كهذا في مواضع كثيرة؛ حرصًا منه على بيان حقيقة الوجه الذي يذهب إليه.**

**وإشفاقًا على القارئ من الملل، فهو لا يريد أن يكون كتابه مطولًا كما كان كتاب أستاذه الفارسي.**

**قال مرة: "لكنا نحذف الإطالة؛ إذ كان هذا كتابًا مختصرًا؛ ليقرب على القراءة، ولا يلطف عنهم، وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب (الحجة في القراءات السبع) فأغمضه وأطاله حتى منع كثيرًا ممن يدعي العربية فضلًا عن القراءة منه، وأجفاهم عنه".**

**على أننا وإن وجدناه يلمح على فكرة الإيجاز لم نعدم عنده الكثير من المناسبات التي يرخي فيها العنان لقلمه، فيصول ويجول، ويسترسل في عرض معارفه اللغوية، والصرفية والنحوية، ويقتاد القياس، ويدير المناقشات والمحاكمات، ويبسط العلل الذاخرة، حتى نكاد نجد أنفسنا نتابع موضوعات لا تتصل بوجه القراءة إلا بسبب ضعيف.**

**ونورد على ذلك مثالًا واحدًا: فقد ذهب أبو الفتح في قراءة عبد الله بن يزيد {ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} [التوبة: 108] ذهب إلى أن أصل حركة هذه الهاء هو الضم، وأن كسرها بعد كسرة أو ياء ساكنة جائز، وكذا جمع الضمة مع الكسرة، وأن القارئ لو كسرها جميعًا أو ضمها لكان جميلًا حسنًا، ثم راح يبحث عن علة هذه المخالفة بين فيه وفي، فوجد أن الابتعاد عن التكرار في اللفظ هو الذي سوغ ذلك، وأن مثل ذلك عنده مثل ابتعادهم عن تكرار اللفظ بعينه في ألفاظ التوكيد.**

**ولكن ابن جني لم يكتف بذلك، بل انتقل إلى البحث في هذه الألفاظ نفسها، وراح يحتج لها ويقيس عليها، يقول: "ومما يدلك على قوة الكلفة عليهم أنهم لما أصاغوا ألفاظ التوكيد لم يرددها بأعيانها، وذلك كقولهم جاءني القوم أجمعون أكتعون أصبعون، فخالفوا بين الحروف، لكن أعانوا حرفًا واحدًا منها تنبيهًا على عنايتهم، وإعلانهم أنه موضع يختارون تجشم التكريم من أجله، وجعلوا الحرف المعاد منه لامه؛ لأنه مقطع، والعناية بالمقاطع أقوى منها بمدرج الألفاظ، ألا تراهم يتمسحون بحشو البيت في اختلافه، فإذا وصلوا إلى القافية راعوا ووقفوا بين أحكامها؛ أعني في الروي والوصل والخروج والردف، والتأسيس، والحركة.**

**وسبب ذلك أنه مقطع، والمعمول في أكثر الأمر عليه، ومنه إجماع الناس في الدعاء على أن يقولوا: اختم بخير. ومنه قوله سبحانه {ﯟ ﯠ} [المطففين: 26]".**

**وخلاصة القول أن ابن جني كان يستطرد في التوجيهات أحيانًا، ولكن استطراده كما رأينا كان استرسالًا عذبا لا يقطع الصلة تمام، وهو كثير ما يسوق خلال هذا الاسترسال أو التوجيه بعض أصوله النحوية المعروفة، وذلك كقوله: "الأخبار توصف، لكن الصفات عندنا لا توصف، والصفة مع موصوفها كالجزء الواحد، والحال ضرب من الخبر".**

**وأيضًا كقوله: "واعلم أن الصفات لا تتساوى أحوالها في قيامها مقام موصوفاتها، بل بعضها في ذلك أحسن من بعض، فمتى دلت الصفة على موصوفها حسن إقامتها مقامه" وهي أقوال كثيرة، وهو لا يفتأ بذكر بعض أصوله في النظر إلى اللغة، كأن يقول في بعض الاستعمالات: "شاذ في الاستعمال، قوي في القياس" و"شاذ في القياس والاستعمال" وغير ذلك من العبارات التي انضوى تحت نظريته المعروفة في كتابه (الخصائص) باب القول على الاطراد والشذوذ.**

**المراجع والمصادر**

1. **(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**

**أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1994م**

1. **(مرشد الأعزة في بيان موقف العلماء من القراءات الشاذة)**

**عبد الكريم إبراهيم صالح، دار المحدثين, 2006م**

1. **)إعراب القراءات الشواذ)**

**أبو البقاء العكبري، بتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب, 1996م**

1. **(الاختلاف بين القراءات)**

**أحمد البيلي، بيروت، دار الجبل، 1988م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي)**

**محمود أحمد الصغير، بيروت، دار الفكر المعاصر, 1999م**

1. **(كتاب المصاحف)**

**أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتب العلمية, 1985م**

1. **(مختصر في شواذ القران من كتاب البديع أو القراءات الشاذة)**

**الحسين بن احمد ابن خالويه، دار الهجرة، 1934م**

1. **(القراءات القرآنية في بلاد الشام)**

**حسين عطوان، بيروت، دار الجيل, 1982م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)**

**عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1975م**

1. **(اليزيدي القارئ النحوي دراسة نحوية قرآنية)**

**محمد أحمد علي سحلول ، دار الحسين الإسلامية, 1989م.**

1. **(شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية)**

**محمد أحمد علي سحلول، دار الطباعة المحمدية, 1993م**

1. **(قراءة أبي السمال العدوي)**

**حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، الجريس، القاهرة, 2000م**

1. **(قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها ومصادرها إحصاؤها)**

**محمد أحمد خاطر، دار الاعتصام, 1990م**